اللغة العاميّة واللغة الفُصحى

نشر بعضهم من سنواتٍ رسائل متتابعة يدعو فيها علمآء العربية وكتّابها الى استبدال اللغة العاميّة من الفُصحَى واعتمادها في الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تُكتَب بها هي الحروف اللاتينية وقد وضع لبعضها علاماتٍ خاصّة للدلالة على المقاطع التي لا صُوَر لها في اللغات الافرنجية . وقد انتهى الينا بعض ما نشرهُ من تلك الرسائل وفيهِ امثلةٌ من حكاياتٍ وغيرها باللغة العاميّة المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشوني[1] الا انهُ متفرنج كاكثر اهل الشرق في هذه الايام واذا قُرئت جآء لفظها اشبه بلفظ رجلٍ افرنجي يتعلم العربية ولا سيما في في امر الحركات التي عبّر عنها باحرف المدّ فاذا نطق بها العربي توهم سامعهُ انهُ يقلّد كلام احد الافرنج المقيمين في هذه الديار . واغرب من ذلك انهُ زعم ان تعلُّم هذه الحروف اسهل تناولاً على الأُمّي من ابنآء مصر وانها افضل ذريعةٍ لتعميم القرآءة في القطر وكانهُ توهم ابن مصر رجلاً من ابنآء امتهِ قد تعلَّم القرآءة بحروف لغتهِ فكان تعلُّم قرآءة العربية بحرفٍ يعرفهُ اسهل عليهِ واقلّ كلفةً من ان يتعلمها بحرفٍ جديد .. والاّ فان لم يكن بدٌّ لمتعلم القرآءة من ان يتعلم اشكال ثمانية وعشرين حرفاً فما الفرق بين ان يتعلمها بهذه الصورة او بتلك . وان قيل ان صورة الحرف الواحد تختلف احياناً بحسب موقعهِ من الكلمة قلنا وهذا ايضاً لا تخلو منهُ الحروف

(١) هو العربي المكتوب بالحرف السرياني

اللاتينية بل قد تكون صورتا الحرف الواحد فيها ابعد مماثلةً

على ان الامر طُوي من ذلك الحين ولم يصادف من احدٍ اهتماماً الى ان ظهر في هذه الايام كتابٌ ألفهُ المستر ولمُور احد قضاة محكمة الاستئناف الاهليـة على الطريقة المذكورة جمع فيهِ ما تسنَّى لهُ من قواعد اللغة العامية المصرية على وجهٍ يقرّب من الاجنبي تناولها والتكلم بهـا . والكتاب في هذا الحدّ يُعَدّ ولا جرم خدمةً جليلة خدم بها قومهُ ولا سيما انهم بعد ان رسخت اقدامهم في هذه الديار لم يبقَ بهم غنىً عن تعلُّم لغة البلاد فاختصر لهم الطريق الى هذه البغية بحيث صار يمكن الانكليزي ان يتعلم العربية بحرف لغتهِ . ولهذا المعنى خصص هو وغيرهُ ممن عني بهذا الامر اللغة العاميـة المصرية وقد افصح بذلك صاحب الاجبشن غازيت فيما استهلّ بهِ كلامهُ عند ذكرهِ لهذا الكتاب حيث قال ما معناهُ « انهُ في مدة هذه التسع عشرة سنة (اي منذ حلول الانكليز في القطر المصري) حاول عدة اناسٍ من الانكلـيز ان يضعوا مؤلفاتٍ لقواعد العربية المحدثة ومفرداتها » الى آخر ما ذكرهُ . ولكن المؤلف وبعض اخوانهِ ممن علّقوا التعاليق في الكتاب وممن قرظوهُ في جرائدهم لم يقفوا عند هذا الغرض من صنيع المؤلّف ولكنهم ذهبوا الى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى من البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتيني على مثل ما ذهب اليهِ صاحب الرسائل المقدَّم ذكرها . وحجتهم في ذلك ان اللغة الفصحى لغةٌ قديمة ميتة قد انقطع عهد الالسنة بها من زمنٍ مديد فلم تبقَ صالحةً لنشر المباحث والاكتشافات العلمية وانما تنتشر فوائد العلم

باللغة الحية التي تتفاهم بها الامة لا باللغة التي لا توجد الا في بطون الاسفار. واذا كان ذلك ووجب استبدال اللغة العامية من اللغة الفصحى لزم تبديل اشكال الحروف ايضاً لان حروف الهجآء العربية لا تؤدي الاصوات بتمامها اذ لا صورة بينها للحركات بل هي قد لا تؤدّي بعض اللفظ الجاري على الألسنة في اللغة العامية نفسها

وهناك سببٌ آخر وهو أن الاجنبيّ الذي يتعلم العربية يرى في كتبها الفاظاً لا يعرفها الا المتعلمون فضلاً عما يجد من الصعوبة في لفظها لما تقدم من عدم وجود صور الحركات مرسومةً في هجآء الكلمات على مثل ما هو الحال في لغات اوربا

ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الانكليزية في القطر الايمآء الى لزوم ادخال هذه الطريقة في المدارس اي مدارس الحكومة مع جعل التعليم اجبارياً بحيث انهُ لا يمضي زمنٌ قصير حتى يعمّ استعمالها في البلاد وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى واسفارها

ولا يخفى ان الحجة الكبرى في ذلك كلهِ الفرق الذي حدث بين اللغة العامية واللغة الفصحى حتى صارتا في نظر الاجنبي كانهما لغتان متباينتان بحيث يتعذر على العاميّ فهم اللغة المكتوبة . ولكن ذلك وهمٌ دسّهُ على اولئك القوم الجهل بلغة البلاد لانهم لو كانوا يعرفون العربية كما يعرفها اهلها لعلموا ان معظم الفرق بين اللغتين مقصورٌ في الغالب على اهمال علامات الاعراب من اللسان العاميّ بحيث اصبح مسموع اللفظين متبايناً على الجملة . الا ان هذا انما تنكر بهِ اللغة في سماع الاجنبيّ لا في سماع اهلها

الا ترى ان العامي منا لو سمع قائلاً يقول رأيت زيداً وجآء الرجلان والمؤمنون يذهبون لم يلتبس عليهِ لفظ زيد بسبب ما اتصل بهِ من التنوين ولم يجد فرقاً بين الرجلان والرجلين ولا بين المؤمنون والمؤمنين ويذهبون ويذهبوا وانما هذا كلهُ مما يشكل على الاجنبي الذي لم يتعلم الا لغة العامة. ومن اعظم الشواهد على ذلك ان العامة منا يقرأون ويسمعون الجرائد وكتب الروايات والاقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بني هلال وعنترة واحاديث الف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع ان جميعها مكتوبة باللغة الفصيحة . اجل لا ننكر ان العامي لا يفهم بعض لغة الحريري مثلاً والمتنبي ولا لغة امرئ القيس وعُبَيد بن الابرص الا ان مثل كلام هؤلآء لا يدخل في هذا البحث لان لغة الجاهليـة قد أُهملت من زمن طويل فلا يكتب بها احد بل اصبح كثيرٌ منها مما لا يفهمهُ حتى الخاصّة ولغة الحريري نسجٌ مخصوص قُصد بهِ التفنن في اللغة والايغال في غريبها والتبسط في فنون البديع والاكثار من الاستعارات والكنايات وغيرها ولكن هذا لم يكن مطرداً في جميع كتاباتهِ بل لا تكاد تجد لهُ شيئاً منهُ في غير مقاماتهِ . وقس على ذلك رسائل الخاصة من مثل البديع والصابي والخوارزمي وهي ايضاً لغةٌ خاصةٌ لهم يتداولونها بينهم ويتأنقون في السجع ومذاهب البـلاغة ولكنهم اذا كتبوا في غير ذلك من نحو رواية خبر او تقرير مسئلة كتبوا بغير هذه اللغة كما تشهد بهِ كتاباتهم الباقية الى اليوم . ومعلومٌ ان اللغة طبقات منها بعد عهد الجاهلية الكتابات التي تُقصَد بها الخاصة كالتي اشير اليهـا ومنها الكتابات التي تُلقى الى جمهور المتأدبين

مثل تعريب كليلة ودمنة واخبار الاغاني ومقدمة ابن خلدون وما في هذه الطبقة يتأنق فيها ولا يبلغ بها حدّ الغرابة ومنها ما يُلقى الى العامة مثل كتاب الف ليلة وليلة وكتب النوادر والاقاصيص المختلفة وهي الكتابة الشائعة في المخاطبات والمعاملات ومنها كتابة الجرائد ونحوها في هذه الايام . وهذا النمط الاخير تفهمهُ العامة بتمامهِ ولا يقف دون فهمها لهُ تبديل بعض المقاطع مما تحرَّف على ألسنتها وهو قليل او تغيير شيءٍ من هيئة بعض الكلمات بسبب الاعراب وهو لا يلزم الا نادراً واما اوضاع اللغة الاصلية من الاسمآء والافعال والحروف فهي في كلام العامة الالفاظ الفصيحة بعينها ما خلا الفاظاً قليلة من المرتجلة او المنقولة عن اللغات الاجنبية وهي لا تغير جوهر اللغة ولا تلقي عليها صبغةً اخرى

والذي عندنا ان السبب الواقعي في هذه الحركة والداعي الى احداث هذا الانقلاب العظيم في الامة هو السبب المذكور آخراً وهو ما يجدهُ الاجنبي في اللغة المكتوبة من الالفاظ التي لا يفهمها الا المتعلمون وحينئذٍ كان يجد من نفسهِ انهُ لا بدّ لهُ من تعلم اللغتين جميعاً لانهُ لو تعلم اللغة العامية وحدها بقيت اللغة الفصحى مبهمةً عليهِ ولو تعلم الفصحى وحدها سمع من الفاظ العامة ما لا يفهمهُ لان ادنى تغيير في صورة اللفظة يقف حجاباً بينهُ وبين فهم معناها . والقوم لا يستغنون عن كلتا اللغتين احداهما للمفاوضات اللسانية والمصالح اليومية والاخرى لفهم ما يُكتَب ولا سيما في الجرائد السياسية ولا تقول في اوراق الحكومة لان لهذه لغةً ثالثة لا تُعَدّ من هذه ولا تلك ونعني بها اللغة المعروفة بلغة الدواوين ... وهذه

لا نعلم باي طريقة ينوون ان يتداركوها

واما كون اللغة العامية اصلح لنشر المباحث العلمية فلعلهُ لا يخلو من الصحة والذي نقدّرهُ من معنى هذا القول انهُ لما كانت هذه اللغة فاقدة الروابط والفاظها غير مقيَّدة باوزانٍ محرَّرة ولا معرَّضة للحركات الاعرابية كالصيغ الفصيحة كان من الممكن ان تُدخَل فيها جميع الالفاظ الاعجمية المستحدثة في العلم والصناعة وغيرهما من غير حاجةٍ الى وضع مرادفاتٍ لها من العربية او افراغها في قالبٍ من قوالب التعريب وحينئذٍ تكون منزلتها من هذه الجهة منزلة اللغة التركية في هذه الايام . وهذا ولا جرم من الامور التي ينبغي لكل عربيٍّ ان يعيرها نظرة اهتمام فان اضطرارنا الى ادخال علوم العصر في مدارسنا مما لا كلام فيهِ ولكن اكثر مصطلحات تلك العلوم لا لفظ لهُ في لساننا لانهُ مما استُحدِث بعد انقطاع عهد العلم عند العرب بل ربما نشأ هناك فروعٌ من العلم لم يكن لها رسمٌ عندهم ولا عرفوا شيئاً منها كالكهربائية والبخار وغيرهما فضلاً عن العلوم التي تبدَّل رسمها كالكيمياء والهيئة وفضلاً عن اسماء الآلات والمصطلحات الصناعية بحيث كان اكثر اللغة العلمية مما لا مرادف لهُ عندنا واصبح لا يمكن التعبير عنهُ الا باحد وجهين اما بان نستخدم الالفاظ الاعجمية عينها وهي تباين الاوضاع العربية في اوزانها ومقاطعها فتؤدي الى تشويه وجه اللغة وافساد محاسنها واما بان نتكلف تعريب بعضها ووضع مرادفاتٍ للبعض الآخر وهذا على ما نرى لا موضع لهُ اليوم مع انقطاع ائمة اللغة عندنا الى بعض صحف الاوائل ينقّبون في خلال سطورها ويبحثون عما تحت الفاظها

وحروفها من المغازي والاسرار ومع اشتغال الكتّاب منا بتقويم أوَد السياسة والذود عن حياض الشرق بأسنّة اقلامهم الماضية ..... وما دام اصحاب اللغة نائمين عن الاهتمام بسدّ ثُلَمها والمصير بها الى مجاراة لغات العصر فهي ولا محالة صائرةٌ الى اقبح مما اشار بهِ مؤلف الكتاب ومَن على رأيهِ بحيث ان اللغة العلمية ولغة الحديث ستصبح كلتاهما فرعاً من المالطية ولا تبقى اللغة الفصحى الا في الجوامع والمحاكم وهذا معنى موت اللغة لا توصف اللغات الميتة بغير ذلك . فان كانوا راضين بهذا فهو متسنٍّ لهم من اليوم ولا نرى وجهاً لاعتراض بعض الجرائد على صاحب الكتاب فانهُ قد صدقنا النصيحة ولم يُشِر الا بما يعود الى ترقية عقول الامة والا بقي ابن الشرق في القرن العشرين كما كان البدويّ في زمن الجاهلية

واما مسئلة الكتابة وعدم وجود صورٍ لاصوات الحركات في رسم الهجآء العربي فما لا يُبالَى بهِ بالقياس الى الامة نفسها ان كان النظر اليها مجرداً ولو كان من اصعب العقبات بالقياس الى الاجنبيّ الذي يروم تعلم اللغة والقرآءة في كتبها . وهذا على الحقيقة من المشاكل التي يعسر حلّها لان للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فاذا رُسمت بالحروف كما هو الشأن في اللغات الاوربية جآء لفظ الكلمات منكّراً وربما التبس بعضها ببعض فلم يبقَ فرقٌ بين سلِم مثلاً وسالِم وسليم اذ يكون بعد السين الف وبعد اللام يآء في الكل وقد يجيء ما هو انكر من ذلك كما في مثل قتل وقاتَل لما هناك من الاختلاف الفاحش في المعنى وحينئذٍ لا يبقى غنىً عن وضع علاماتٍ تميز الحركة من الحرف فعاد الامر الى الشكل وهو يغني وحدهُ

بدون الحروف . وذلك فضلاً عما في التزام التحريك في الرسم سواءٌ كان بالحرف العربي ام اللاتيني من اطالة هجآء الكلمات واقتضآء الكتابة زمناً اطول الى ضعفٍ آخر في الاقلّ . فجملة ما يقال ان الحركات في العربية لا تُكتَب الا بصورة حركات لان لفظها ليس لفظ الحروف الكاملة ولا هي داخلة في بنية الكلمات وانما الغرض الاصلي منها الانتقال من مقطع الى مقطع لكن غاية ما هناك انهُ يمكن استنباط طريقة تمكّن المطابع من وضع الحركات على وجهٍ اسهل وحينئذٍ لا يُشكَل الا الحرف الذي يمكن التباسهُ ولو على الاجنبي فتكون مطبوعاتنا على مثال بعض الكتب التي تُطبَع للتعليم في المدارس وان كان الامر على كل حال فيهِ من الصعوبة ما فيهِ

بقي انهُ على تقدير خروج هذا الرأي الى الفعل فان ما يتخلص منهُ الاجنبيّ يقع فيهِ الوطنيّ بل يقع في اشدّ مضضاً منهُ على ما سنذكرهُ . ونعني بالوطني هنا المسلم الذي هو العنصر الغالب في البلاد فانهُ مع تعليمهِ قواعد اللغة العامية لا يستغني عن تعلم اللغة الفصحى لإحكام قرآءة القرآن وتلقّي الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما ولا بدّ لبلوغ هذه المنزلة من قرآءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الادب . وهذه كلها ان لم يتعلمها في مدارس البلاد لزمهُ ان يتعلمها في مدارس اخرى خاصة او يدرسها في منزلهِ وكلاهما لا يستطيعهُ الا الاغنيآء فضلاً عما فيهِ من المشقة واضاعة الزمن . وكذلك يلزمهُ ان يتعلم قرآءتين احداهما بالحرف العربيّ لتلاوة القرآن لانهُ لا يجوز لهُ ان يكتبهُ بحرفٍ اجنبي الا عند الضرورة على خلاف والاخرى بالحرف اللاتيني المصطلح عليهِ في البلاد

لمطالعة ما يُنشَر فيها من الكتب والجرائد ولدراسة العلوم العصرية التي يرام كتابتها باللغة والحرف المذكورين على ما اشير اليهِ في التأليف ولا نخال التسليم بذلك كلهِ من الامور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيرهُ ان العربية لا تقاس في ذلك بالطليانية واليونانية اذ ليس في هاتين اللغتين شيءٌ من الامر الديني الذي اشرنا اليهِ بل فيما حدث اخيراً في امر ترجمة الانجيل الى اليونانية الحديثة عبرةٌ كافية مع انتفآء المحذور الذي ذكرناهُ . وبقي ورآء ذلك كلهِ ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياع ما لا يُحصَى من كتب العلم والتاريخ وغيرهما بحيث يتعذر نقل هذه الكتب باسرها الى الحرف الجديد ولا يبقى سبيلٌ للاعقاب الى تناول ما فيها اذا تغير الحرف الذي يقرأون بهِ . ولذلك فالذي نراهُ لواضعي هذه الطريقة ان يقتصروا فيها على تعليم الاجنبيّ لغة البلاد ولا يتجاوزوا الى ما ورآء ذلك من التبديل في شؤون الامة فان محاولة هذا الاحداث فيها ليس في شيءٍ من الحكمة ولا هو من الامور التي يساعدها الامكان

المرأة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي

(تتمة ما سبق)

على ان العلمآء مختلفون في امر الحجاب وقد ظهر من مناقشاتهم فيهِ انهُ لا يوجد نصٌّ صريح يوجبهُ او يحدّدهُ تحديداً واضحاً والروايات عن الصحابة وائمة الدين في ايجابهِ وتركهِ مختلفة ايضاً وحينئذٍ فالامر عائدٌ الى رأي كل